التقوى السياسية والإجتماعية على أساس تعاليم نهج البلاغة

د. جواد اسحاقيان درجة
أستاذ مساعد، عضو هيئة التدريس في كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
eshaghian.dorcheh@ut.ac.ir
وهب إبراهيم مُحَمَّد السوداني
طالب دكتوراه، قسم علوم القُرآن والحديث، كلية المعارف والفكر الإسلامي، جامعة طهران، إيران
wahab.apr@gmail.com

Political and social piety based on the teachings of Nahjul Balagha

Dr. Javad Eshaqian
Assistant Professor , Faculty member at the Faculty of Islamic Knowledge and Thought , University of Tehran , Iran
Wahb Ibrahim Muhammad al-Sudani
PhD student , Department of Qur'anic and Hadith Sciences , Faculty of Islamic Knowledge and Thought , University of Tehran , Iran

المُلخص:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة مَفهوم التقوى السياسية والإجتماعية في نهج البلاغة، بإعتبارها قيمة شاملة تُرشد السلوك السياسي والإجتماعي وفق منظومة إيمانية أخلاقية، وقد قُسّم البحث إلى مبحثين رئيسين: فكان الأول: التقوى السياسية في نهج البلاغة، وإشتمل على ثلاث مطالب: فكان أوله: التقوى كمعيار للحكم الرشيد: حيث يُظهر الإمام علي عليه السلام أن أهل التقوى هم الأجدر بالسلطة، لما يملكونه من عدالة ونزاهة، وثانيه: التقوى في الرقابة على الذات عند المسؤول: تناول أهمية محاسبة النفس والخشية من الله في أداء المهام السياسية، وثالثه: أثر التقوى في السياسة: العدل وإقامة الحق: فالإمام عليه السلام، يربط بين تقوى المسؤول واستقامة الحكم، ويعد التقوى مفتاحاً لإقامة العدل، فيما كان عنوان المبحث الثاني: التقوى الإجتماعية في نهج البلاغة، وإشتمل كذلك على ثلاث مطالب: فكان أوله: التقوى في العلاقات المجتمعية والتكافل: حيث تؤسس التقوى لسلوك اجتماعي مبني على الرحمة والإيثار، وثانيه التقوى في مواجهة الظلم الاجتماعي: يبيّن الإمام عليه السلام، دور التقوى في تحفيز الفرد والمُجتمع على مقاومة الظلم والإنحراف، وثالثه: التقوى ضمانٌ لأمن المُجتمع واستقراره: فالمجتمعات المتّقية تنعم بالأمن والثبات، وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام، في خطبه ورسائله.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، التقوى السياسية، التقوى الاجتماعية، الخوف من الله، الظلم الاجتماعي.

Abstract:-

This research aims to examine the concept of political and social piety in Nahj al-Balagha, as a comprehensive value that guides political and social behavior according to a moral and faith-based system. The research was divided into two main sections: The first was: Political Piety in Nahj al-Balagha, and included three topics: The first was: Piety as a Standard for Good Governance: Imam Ali (peace be upon him) demonstrates that the pious are the most deserving of authority, due to their justice and integrity. The second was: Piety in Self-Control for Officials: This section addresses the importance of self-accountability and fear of God in performing political duties. The third was: The Impact of Piety on Politics: Justice and Establishing Truth: The Imam (peace be upon him) links the piety of officials to the integrity of governance, and considers piety a key to establishing justice. The second section was titled: Social Piety in Nahj al-Balagha, and also included three topics: The first was: Piety in Societal Relations and Solidarity: Piety establishes social behavior based on mercy. And altruism, and secondly, piety in the face of social injustice: The Imam (peace be upon him) demonstrates the role of piety in motivating the individual and society to resist injustice and deviation. Thirdly, piety guarantees societal security and stability: Pious societies enjoy security and stability, as the Imam (peace be upon him) expressed in his sermons and letters.

Key words: Imam Ali (peace be upon him), Nahj al-Balagha, political piety, social piety, fear of God, social injustice.

المقدمة:

تُعدّ التقوى من أهم القيم المحورية في المنظومة الإسلامية، إذ تشكّل الأساس الأخلاقي والروحي الذي يُبنى عليه سلوك الفرد والمُجتمع على حد سواء، وفي نهج البلاغة، تظهر التقوى كمفهوم شامل لا يقتصر على العلاقة بين العبد وربه، بل يمتد ليشمل أبعاداً سياسية واجتماعية، بما يعكس الرؤية الشاملة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في بناء الفرد الصالح والمُجتمع العادل والدولة الراشدة.

وقد برز الإمام علي عليه السلام، كأنموذج للقائد المُتّقي، الذي جعل من التقوى أساسًا للحكم والرقابة الذاتية والعدالة، فكان نهجه في السياسة والإجتماع قائمًا على مبادئ روحية ذات بعد عملي، وفي ظل الإنحدار الأخلاقي والسياسي في العديد من المُجتمعات، تأتي هذه الدراسة لتعيد قراءة مَفهوم التقوى في ضوء نهج البلاغة، محاولةً استكشاف الأبعاد السياسية والإجتماعية لهذه القيمة التأسيسية، وبيان أثرها العملي في صناعة الحكم الرشيد والمُجتمع المُستقر.

وقد خلص البحث إلى أن التقوى ليست مُجرد قيمة روحية شخصية، بل هي مبدأ حاكم في السياسة والمجتمع، وأن تعالىم الإمام علي عليه السلام، تشكّل مرجعًا غنيًّا لبناء الدولة والمُجتمع على أساس من العدالة والاستقامة والتكافل.

سؤال البحث:

ما هي تجليات التقوى السياسية والإجتماعية في نهج البلاغة، وكيف تسهم هذه المفاهيم في بناء الحكم العادل والمُجتمع المتماسك؟

ما حققه البحث:

تحليل مفصل لأبعاد التقوى السياسية والإجتماعية في نهج البلاغة، وإبراز التقوى كعنصر فاعل في صناعة القرار السياسي العادل، والكشف عن أثر التقوى في العلاقات الإجتماعية، وخاصة في مواجهة الظلم وبناء التكافل المُجتمعي، وتقديم قراءة معاصرة لتعالىم الإمام علي عليه السلام، يمكن توظيفها في واقعنا المعاصر.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التحليلي الإستنباطي، حيث تم تحليل خطب ورسائل الإمام عليعليه السلام في نهج البلاغة، واستنباط المفاهيم السياسية والإجتماعية المُتعلقة بالتقوى، وربطها بالمفاهيم المعاصرة في فقه السياسة والإجتماع.

الدراسات السابقة:

كَتَبَ السيد مُحَمَّد باقر الصدر(رحمه الله)، في الإسلام يقود الحياة، حيث تناول دور القيم الروحية في إدارة المُجتمع، والشيخ مُرتضى مطهري، كَتَبَ في العدل الإلهي، وتطرق فيه لمفهوم العدالة والتقوى في الفكر الإسلامي، وكَتَبَ عباس نورالدين، في الدين والسياسة في نهج البلاغة، ناقش العلاقة بين الإيمان والحكم، والشيخ حسن الصفار، في دراساته حول الأخلاق السياسية في الإسلام، ناقش أثر الأخلاق على أداء المسؤول، وتناولت دراسات نهج البلاغة الحديثة، مثل أطروحات الجامعات الإيرانية واللبنانية، تناولت جانبًا من التقوى، لكنها لم تجمع البعدين السياسي والإجتماعي في محور واحد متكامل كما في هذا البحث.

وإن ما تميّز هذا البحث بدمجه بين البعدين السياسي والإجتماعي للتقوى في ضوء نهج البلاغة، بخلاف الدراسات السابقة التي تناولت كل بُعد على حدة. كما اعتمد منهجًا تحليليًا معاصرًا يستثمر التقوى في بناء الحكم الرشيد والمُجتمع المُستقر، ويضيف البحث بعدًا فقهيًا - اجتماعيًا متكاملًا يجعل من التقوى مبدأ عمليًا لإصلاح الدولة والمُجتمع.

المبحث الأول

التقوى السياسية في نهج البلاغة

تُعدّ التقوى السياسية من أبرز ركائز الحكم في فكر الإمام علي عليه السلام كما ورد في نهج البلاغة، إذ ترتبط القيادة الصالحة بوعي المتقين وعدلهم ومحاسبتهم الذاتية، ويتجلى ذلك في وصاياه لولاته وخطبه التي تُبرز قيمة الورع في أداء المسؤوليات العامة، لذا يُحلل هذا المبحث مفهوم التقوى كأداة للحوكمة الأخلاقية والسياسية، ويمكن بيان هذا المبحث على النحو الآتي:

المطلب الأول: التقوى كمعيار للحُكم الرشيد

يُشكل معيار التقوى محوراً أساسياً في اختيار الحاكم وتوجيه سلوكهعليه السلام، في إدارة الدولة، حيث تتجاوز الكفاءة الظاهرية إلى الباطن الأخلاقي، وقد بيّن الإمام عليعليه السلام، أن

الحكم العادل يقوم على أساس طاعة الله والخوف منه في كل قرار سياسي، ويمكن بيان هذا المطلب على النحو الأتي:

أولًا: التقوى أساس الحُكم: ففي وصيتة لمالك الأشترحين ولاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها، قال"أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه؛ فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزهوأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات[١]، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله"[٢].

"فالعلم بلا تقوى لا يحل مشكلات الحياة، بل يزيدها تعقيداً...، وما ذا فعل العلم بإنسان القرن العشرين لقد غيّر العالم القديم، ما في ذلك ريب، وهبط بالإنسان على سطح القمر؛ ولكنه أودى بحياة الملايين، وروّع الآمنين، ونهب أقوات الضعفاء، وشرّد ملايين الأطفال والنساء، وبات يهدد بأسلحته كوكبنا هذا الذي نسكنه بالخراب والدمار، ويستحيل أن تعمر البلاد، ويسعد أهلها، وترى الانسانية شيئا من الخير إلا بالإخلاص والتقوى"[٣].

ثانيًا: السياسة والكف عن الشهوات: يُشير الإمام عليه السلام، إلى مقطعٍ في غاية الأهمية" وأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ...، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ"[٤]، فصدّر عليه السلام، هذا العهد بذكر أمور هي غرض الولاية، وبها يكون نظام الأمر فمنها ما يعود إلى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج، ومنها ما يعود إلى الرعيّة وهي جهاد عدوّهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعى، ومنها ما يعود إليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها، ثمّ أمره بأوامر خمسة يعود إلى إصلاح نفسه أوّلا[٥]:

١- تقوى اللّه وخشيته؛ لأنها أصلا لكلّ فضيلة.

٢- اتّباع أوامره في كتابه من فرائضه وسننه، ورغّب في ذلك بقوله عليه السلام"لا يسعد إلى قوله: إضاعتها[٦].

٣- أن ينصر اللّه سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدوّ، وإنكار المنكرات، ورغّب

في ذلك بقوله: قد تكفّل، إلى قوله: أعزّه، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٧).

والآية الكريمة غاية الدقة لتُبين إن" تثبيت الأقدام كناية عن الصلابة والثبات، والآية واضحة الدلالة على أن اللّه سبحانه مع أهل الحق والعدل ينصرهم ويأخذ بأيديهم، وفي معناها كثير من الآيات، كقوله تعالى من سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٨)، وقوله تعالى من سورة الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١٠)، وقوله تعالى من سورة المائدة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١١)(١٢).

"والنصر من اللّه سبحانه على أنواع، منها النصر على الأعداء بالقتال وقوة السلاح، كإنتصار الرسول الأعظم ﷺ، على عتاة الكفر والظلم من قريش وغيرهم، ومنها النصر بعذاب من السماء كالخسف والطوفان والريح العاتية، ومنها النصر بقوة الحجة والبرهان عند نقاش الخصم وجداله، ومنها النصر بعلو الشأن وخلود الذكر في الدنيا، ومنها النصر في الآخرة يوم تسودّ وجوه وتبيضّ وجوه ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾(١٣)(١٤).

"وإذا تبين معنا ان النصر من اللّه على أنواع، وان قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(١٥)، مُطلق غير مقيد بنوع من أنواع النصر، ولا مقرون بصفة من صفاته، إذا تبين هذا علمنا أن المُراد من النصر في الآية أي نصر كان، وليس من شك انه كائن لا محالة، ولو في اليوم الآخر الذي لا ريب فيه، وعليه فلا وجه للإعتراض أو السؤال: كيف وعد اللّه سبحانه المحقين بنصره مع أن تاريخ البشرية متخم بأخطر المظالم والإعتداءات على الطيبين والمُخلصين، وقد ذُكر هذا المقام في الآية(٣٨)، من سورة الحج المارة الذكر(١٦)(١٧).

٤- أن يكسر من نفسه عند الشهوات، وهو أمر بفضيلة العفّة.

٥- أن يكفّها ويقاومها عند الجمحات، وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتّباع الهوى وهو فضيلة تحت العفّة، وحذّر من النفس بقوله عليه السلام، فإنّ النفس، إلى آخره، وهو من قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾(١٨)، والآية وهي نصب على الإستثناء: أي إلّا نفسا رحمها اللّه.

وفي موضع يقول عليه السلام" واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم"[١٩].

ثالثًا: سياسة الحكم إتجاه الرعية: من أصول تعيين الإمام عليّ عليه السلام، لمالك الأشتر قوله"ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه"[٢٠].

فالإمام يُريد أن يُبين"محبة الحاكم لرعيته ضرورة تمامًا كالعدل، وأي حاكم يلزم نفسه بالمحبة والعدل؛ فإنّه يجعل من رعيته أصدقاء له وأحباء حتى ولو كان على غير دينهم، وبهذا تستقيم له الأمور، ويعم الأمن والهدوء بلا جيوش وجنود؛ لأن كل واحد من رعية السائس العادل هو قوة له وعدة، وجندي يحافظ ويدافع، وقد أثنى سبحانه على نبيه الكريم بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢١]، وأي حاكم لا ينفذ له أمر إلا بالقوة فهو من الخاسرين دنيا وآخرة[٢٢].

فالناس صنفان أي" على الانسان أن لا يعتدي ويسئ إلى أخيه الانسان بشيء، وان ينصفه من نفسه، ويكون عونا له على ظالمه سواء أكان على دينه أم على دين الشيطان، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام، لشيعته: ردوا الأمانة إلى أهلها وان كانوا مجوسًا[٢٣]، وقال له أحد أصحابه وأتباعه: وقع لي مال عند يهودي، فكابرني عليه وحل، ثم وقع له عندي مال فهل آخذه عوضًا عن مالي وأجحده وأحلف عليه، كما صنع، فقال الإمام: إذا خانك فلا تخنه، ولا تدخل فيما عبته عليه[٢٤].

"وبهذه المُناسبة نشير إلى أن الأوائل من حكام المُسلمين كانوا يعاملون أي مُسلم يدخل بلادهم معاملة المواطن الأصيل في جميع الحقوق والواجبات بصرف النظر عن بلده وجنسه ولغته، فلا يسأل عن الإذن والجواز، ولا يمنع من الإقامة والتجارة، فكان المُسلم الهندي والتركي والعربي والفارسي ينتقل بملء إرادته حيث شاء من البلاد الإسلامية ودولها، ويتمتع بجميع الحقوق السياسية والمدنية والطبيعية...، وأيضًا عليه واجبات مُتساوية مع المواطن الأصيل، وللحاكم أن يجبره على حمل السلاح والدفاع عن الرعايا المُسلمين ما دام

في بلدهم"[٢٥].

إما قوله عليه السلام" يفرط الزلل إلى عفوه وصفحه" وهي إشارة على إن" كل الناس يخطئون، ومن الذي تخلو صحيفته من هفوة ما دام يعيش مع الناس، ويحتك بهم حتى الذي يعيش مُعتزلا قد يخطئ ويقصر بحق خالقه؛ ولكنه تعالى يعفو ويصفح عمن يطلب منه العفو والصفح. قال، عزمن قائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾[٢٦]، فجدير بالعبد أن يعفو عمن أساء اليه، والعاقل يعامل الناس كأنه لا عدو له فيهم ولا حاسد، وليس من شك ان الغلبة للحليم"[٢٧].

وفي قوله عليه السلام، أيضًا (فإنك فوقهم)، كأمير، (ووالي الأمر عليك فوقك)، لأنه اختارك وعيّنك (واللّه فوق من ولاك)؛ لأن الكل في قبضته، فأنا وأنت والرعية جميعا متساوون في العبودية للّه والإفتقار إلى رحمته وعنايته، فلما ذا التكبر وعلى من (واستكفاك أمرهم وابتلاك بهم)، إن الخلق أمانة الخالق عند الحاكم يمتحنه سبحانه بهم، فإن ساسهم بالحسنى كافأه بأحسن منها، وإلا حقت عليه كلمة العذاب[٢٨].

والملاحظ إن الإمام عليه السلام، يُؤسس لقيادة تقوم على محبة الحاكم للرعية والعطف بهم، وهو منهج القرآن الكريم في كيفية التعامل معهم، وهذا يُشير إلى إن الإسلام دين ودولة[٢٩].

رابعًا: تفضيل الأكفّاء المُتقين على الأقرباء: أين أجد هذه الصفة في بلادي منذ عام٢٠٠٣م وإلى الأن ونحن في عام ٢٠٢٥م، ومع شديد الأسف كل ما هو نطيحة ومُتردية من اقرباء المسؤولين نجدهم يتقلدون زمام الحُكم، وكثير من الكفاءات هجروا وقتلوا واقصوا، فيقول الإمام عليه السلام" وإنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ولَكِنَّه فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، ولَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ، عَزَّ وجَلَّ وأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَه إِلَى، ولَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ والسَّلَامُ"[٣٠].

فالإمام عليه السلام، يُشير ويقول" أنت موظف، والوظيفة أمانة في عنقك للّه والمسلمين، وليست مزرعة لك ومُتجرا(وأنت مسترعى لمن فوقك)، إن عليك لحسيبا ورقيبًا، وهو الخليفة، يحصي عليك جميع أعمالك، ويأخذك بها أن خنت وخالفت و(ليس لك أن تفتات

في رعية)، أي تستبد وتستغل الرعية التي أنت لها خادم وأجير، (ولا تخاطر إلا بوثيقة)، لا تقدم على أي عمل إلا وأنت على يقين من مكانه وصحته وفائدته، ولديك الحجة الكافية الوافية على ذلك (وفي يديك مال من مال اللَّه)، والناس عيال اللَّه، وإذن فالمال لهم ولسد حاجاتهم، وليس لك ولا للخليفة الذي هو عليك حسيب ورقيب(ولعلي الا أكون)، أي لقد أثنيت على عثمان الذي ولّاك، وأرجو أن تثني عليّ أيضًا..."[٣١].

المطلب الثاني: التقوى في الرقابة على الذات عند المسؤول

إن التقوى ليست مُجرد التزام خارجي، بل رقابة داخلية تردع المسؤول عن الإنحراف، فالإمام علي ركز في نهج البلاغة على أهمية مُحاسبة النفس والتزام المسؤولين بالورع في أداء وظائفهم، خاصة في إدارة المال العام والحقوق، ويمكن بيان هذا المطلب على النحو الآتي:

أولًا: التقوى والمسؤولية: إن الطف ما يكون هو التقوى تجعل صاحبها يشعر بالمسؤولية الكاملة كقول الإمام عليه السلام "اتَّقُوا اللَّه فِي عِبَادِه وبِلَادِه، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّه ولَا تَعْصُوه، وإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِه، وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْه"[٣٢].

أي إن" كل البلاد بلاد اللَّه، وكل الناس عيال اللَّه، وكل البهائم من خلق اللَّه، وحقها فرض من اللَّه، ونحن مسؤولون عنها وعن آلامها أمام اللَّه، فكيف بآلام العباد والبلاد، إن اللَّه سبحانه خلق الحيوان لمنفعة الإنسان، لا لكي يظلمه في طعامه وشرابه أو يحمّله فوق طاقته، فكيف بالذين يمارسون أعنف المعارك بأحدث الأسلحة المدمرة ضد الشعوب المُستضعفة، بل أنشئوا علمًا خاصًا لنهب العباد والبلاد، علمًا له خطوطه وقواعده وأسلحته وأساطيله، وليس لهذا العلم اسم يدل عليه؛ ولكن له دولة ورجالًا، ورجاله أصحاب الشركات الإحتكارية، وكل دولة تساندهم هي دولة هذا العلم الجاهل القاتل"[٣٣].

ثانيًا: التوصية لعُماله بالمُحاسبة الذاتية: إن المُحاسبة الذاتية لا شيء يعلوا عليها إن كان المحاسبة ناشئة عن التقوى والورع والخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى فالإمام عليه السلام، يقول "فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ"[٣٤].

أي" أي حاسب نفسك الَّتي هي أعزّ الأنفس عليك وأحبّها إليك لأجل منفعة نفسك أي

تولّ أنت بنفسك بمحاسبة نفسك قبل أن تحاسب بها(فانّ غيرها من الأنفس عليها حسيب)، أي محاسب و(غيرك)، بمعي ساير الأنفس الّتي لم يتولّ صاحبها محاسبتها فانّ لها حسيبا يحاسبها، وهو اللّه ربّ العالمين مالك يوم الدّين أسرع الحاسبين كما قال عزّ شأن﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾(٣٥)، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾(٣٦)، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(٣٧)، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(٣٨)(٣٩).

وبعباره أخرى" ما لك ولعيوب الناس وأخطائهم، وهل أنت في عصمة من الخطأ والخطيئة، أو أنت وكيل على غيرك وحسيب واللّه سبحانه يقول لسيد الكونين: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾(٤٠)، عليك أن تُراقب وتحاسب نفسك بنفسك، لتقف بين يدي اللّه طاهرة من دنس الذنوب والآثام، وأن تكون لها قائدًا لا مقودًا، ومُدرّبًا لا مُستعبدًا، ولا تتغافل عنها أدنى تغافل، وإلا جمحت بك من حيث لا تشعر"(٤١).

ثالثًا: التحذير من الغرور بالمنصب: من الآفات الذي تُصيب بعض البشر هي الغرور والتكبر وقد ذمها القُرآن الكريم في العديد من اياته المُباركة، وهنا نجد إن الإمامعليه السلام، يقول" وإنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ولَكِنَّه فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ"(٤٢).

أي إن الإمامعليه السلام، يُريد أن يُبين" أنت مُوظف، والوظيفة أمانة في عنقك للّه والمُسلمين، وليست مزرعة لك ومُتجرا (وأنت مسترعى لمن فوقك)، أي إن عليك لحسيبا ورقيبًا، وهو الخليفة، يحصي عليك جميع أعمالك، ويأخذك بها أن خنت وخالفت، و(ليس لك ان تفتات في رعية)، أي تستبد وتستغل الرعية التي أنت لها خادم وأجير"(٤٣).

رابعًا: التقوى تقتضي الإخلاص في المسؤولية: وما أروع تلك المسؤولية الذي نص عليها الإمامعليه السلام" فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً"(٤٤).

أي"هدي إلى أن يعيش للناس لا لنفسه وذويه، وهدى الناس إلى سبيل العلم والمحبة والإخاء (فأقام سنّة معلومة)، وهي سنة رسول اللّه (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، وعثمان يعلم أن اللّه سبحانه فتح على نبيه الكريم بلاد الحجاز واليمن وجزيرة العرب

بكاملها، وان غنائمها وجزيتها وصدقاتها قد جلبت اليه، وما استأثر بشيء منها هو ولا أحد من أهل بيته(وأمات بدعة مجهولة)، لا يعرفها الناس عن النبي ولا عن إمام عادل(وان البدع لظاهرة)، وأظهرها على الإطلاق استباحة القهر والقمع والضرب والنفي والإستئثار بالأموال ومن قارن بين الوضع في عهد عثمان وما قبل عثمان يجد الفرق بينهما تماما كالفرق بين الدولة المحمدية والدولة القيصرية"(٤٥).

المطلب الثالث: أثر التقوى في سياسة العدل وإقامة الحق:

أولًا: أثر العدل في السياسة: لا شيء يعلوا أمام العدل الإلهي، فقد ورد العدل في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾(٤٦)، ثم اجاب عليه السلام، قائلًا" العدل الإنصاف، والإحسان التفضل"(٤٧).

ثم يُشير الإمام عليه السلام، تفصيلًا: "وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّه لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ولَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ(٤٨)، فالعدل" صفة اللّه وإرادته وبه بعث الأنبياء والمُرسلين، وهو أمنية الأكثرية في كُل شعب، ومن كل طائفة ودين، فأي حاكم حَكم بالعدل، وساوى بين الناس في الحقوق والواجبات وأحاطهم بعنايته ورعايته؛ فإن الرعية أي الأكثرية تُخلص له وتنقاد، وتعطيه الطاعة الولاء، وان ورث السلطان عن الآباء، وأي حاكم يحابي ويجور، ويُؤثر فريقا على فريق فهو عدو الرعية تأباه وتتمرد عليه، وأن انتخب بالإجماع، فإرادة الرعية منوطة بالعدل، فحيثما يكون فثم إرادة الأكثرية، وحيثما يوجد الظلم والجور فثم سخط العامة والأمة"(٤٩).

أما" الإنتخابات في كثير من البلدان فإنها تجري في ظل العنف والتزوير والرشوة والخيانة، وما دمج الأحزاب أيام الإقتراع لكسب الأصوات إلا مُساومة علنية لإغتصاب السلطة وتوزيعها على المُتحالفين...ـــ وقول الإمام عليه السلام" موده الرعية...، وسلامة صدورهم...، وقلة استثقال دولهم أي دول الولاة، وترك استبطاء انقطاع مدتهم"(٥٠)، معناه أن الولاة متى عدلوا أحبهم الناس وأخلصوا لهم، ولا يستثقلون حكمهم، ويستبطئون زوال دولتهم، بل يتمنون أن تطول وتدوم"(٥١).

وقوله عليه السلام، (فافسح في آمالهم)، أي إعمل جاهداً كي تحقق للرعية ما تبتغيه من الأمن والرخاء (وواصل الثناء عليهم)، أي على من كان أهلا للثناء (وتعديد ما أبلى ذوو البلاء إلخ)...، إذا رأيت من جندي بادرة شجاعة ونشاط، أو نزاهة وإخلاصاً في عمله - فأعطه من الشكر والتقدير ما ترغب لنفسك في مثله ليهتز البطل الأريحي، وعسى أن ينشط الجبان الكسول...، وهذا ما جرت عليه سنّة الحكومات تمنح الأوسمة والرتب لكل جندي يقوم بعمل بطولي"(٥٢).

فالإمام عليه السلام، يُؤسس لمبدأ العدل السياسي مُستنداً على القُرآن الكريم وهذا ما يولد الأثر النفسي نحو الإنصاف في نواحي الحياة عامة، ويجعل من الحاكم قادراً على إتخاذ قراراته بعيداً عن الأهواء.

ثانيًا: أثر التسوية في العطاء: إنْ النوع الثاني من صفات العدل الإلهي هو التسوية في الحقوق وعدم الإسراف فيقول الإمام عليه السلام"وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله"(٥٣)؛ "لأنّ اللّه سبحانه جعل للمال موارد خاصّة، فإذا صرف في غير تلك الموارد، كان تبذيراً، وهو: أي اعطاء المال في غير حقّه، و(يرفع صاحبه في الدّنيا)، لتقوية صاحب الأطماع للمعطى(ويضعه في الآخرة)؛ لأنه عصى اللّه سبحانه في صرفه المال في غير مصرفه المقرّر"(٥٤).

وقوله عليه السلام: (ويكرمه في النّاس)، لمدح الآخذين له(ويهينه عند اللّه)، لعصيانه له تعالى (ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه)، أي المقرّر شرعًا،(ولا عند غير أهله إلا حرّمه اللّه شكرهم)، إذ الأخذ ذو الطّمع لا يعرف حقّا، حتّى يشكر المعطى، ولو عرف الحق لم يطمع في أزيد من نصيبه(٥٥).

ثالثًا: أثر الخيانة عند الإمام عليه السلام: وما أصعب وأقبح من الخيانة كقول الإمام عليه السلام"وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفظع الغش غش الأئمة والسلام"(٥٦).

فقد" تكون خيانة الأمة بدرهم يختلسه مُوظف من مال الدولة، أو رشوة يقبضها من مزوّر كاذب، أو مُحتكر غاصب، وهذه من أعظم الخيانات، وفساد كبير، ما في ذلك ريب،

وأعظم منها ومن كل الجرائم مُجتمعة التآمر على كيان الأمة وتقويضها من الأساس بالعمالة لسفاحي الشعوب وأعداء اللّه والإنسانية، وما أكثر العملاء في الشرق، وبالخصوص في بلاد المُسلمين، وبالأخص عندنا نحن العرب، وهل من دليل على ذلك أقوى وأدل من وجود(السيدة إسرائيل)، التي تنقضّ ليل نهار بطائراتها ودباباتها علينا تقتل وتدمر، وتحتل وتشرد على مسمع ومرأى من قادة العرب والعروبة...، وما زادهم هذا وذاك إلا تناحراً وتثليما"[٥٧].

رابعًا: الأثر في تجنب المُحاباة والتمييز الطبقي: من أقبح الموارد هو التمييز الطبقي بين الأفراد وقد عالج القُرآن الكريم ونهج البلاغة هذه المسألة، ففي وصية الإمام علي عليه السلام، لمالك الأشتر:" وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق"[٥٨].

وأوردنا تفصيل هذه المسألة في المبحث الأول المطلب الأول في ثالثًا: سياسة الحكم إتجاه الرعية.

المبحث الثاني

التقوى الإجتماعية في نهج البلاغة

يُركز نهج البلاغة على بناء مُجتمع تسوده العدالة والرحمة من خلال تربية الفرد على التقوى الإجتماعية، التي تعزز روح المسؤولية والتكافل، فالإمام علي عليه السلام، لم يفصل بين الورع الفردي والمصلحة العامة، بل جعلهما مُتلازمين لتحقيق أمن المُجتمع واستقراره، ويمكن بيان هذا المبحث:

المطلب الأول: التقوى في العلاقات المُجتمعية والتكافل

إن التقوى الإجتماعية تبدأ من احترام الحقوق بين الناس، وتعزيز روح التكافل والرعاية، خاصة للفئات الضعيفة، إذ يوجه الإمام علي عليه السلام، في دعوته للمُجتمع نحو التكامل الإنساني الذي يُبنى على أساس التراحم والإنصاف، ويمكن بيان هذا المطلب من خلال:

أولًا: حقوق الأيتام: من وصية له عليه السلام، للحَسن والحُسين عليهما السلام، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله[٥٩]:"الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في

جيرانكم، فإنهم وصيه نبيكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم"[٦٠].

"لا يخلو مُجتمع من أيتام فقدوا الأب في صغرهم، وهؤلاء الأطفال يجب أن يتمتعوا بحماية من مُختلف الجهات، فمن الناحية العاطفية، يشعر هؤلاء بنقص، إذا لم يسد فإنهم سيشبون أفرادًا غير سالمين، وكثيرًا ما يكونون قساة مجرمين خطرين، ومن الناحية الإنسانية يجب أن يعيش هؤلاء في حماية ورعاية كسائر أبناء المُجتمع، أضف إلى ذلك يجب أن يُشعر أفراد المُجتمع بضمان مُستقبل أبنائهم الذين قد يصابون باليتم في يوم من الأيام، الأيتام قد يكونون أصحاب تركة مالية يجب أن تصان بكل دقة، وقد يكونون معدمين ماليًا فيجب الإهتمام بهم من هذه الناحية، والآخرون يتحملون مسؤولية التعامل مع هؤلاء بكل اهتمام ورفق كي يزيلوا عنهم غبار عناء الوحدة، لذلك ركزت آيات القُرآن الكريم ونصوص الشريعة الأخرى على هذه المسألة ذات البعد الأخلاقي والبعد الإجتماعي والإنساني"[٦١].

وعن رسول الله ﷺ، قال:"إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول الله للملائكته يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذي غيب أبوه في التراب؟ فتقول الملائكة: أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي، فإني أشهدكم أن لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة"[٦٢].

وخلاصة ما تقدم إن"في المُجتمعات الكبيرة مثل مُجتمعاتنا اليوم، لا يمكن للمُسلمين أن يكتفوا طبعًا بالأعمال الفردية، بل لا بُد أن تتمركز القوى لرعاية الأيتام وفق برنامج اقتصادي وثقافي وتعليمي مدروس، كي ينشأ هؤلاء الأيتام أفرادًا لائقين للمُجتمع الإسلامي، وهذا يتطلب تعاونًا اجتماعيًا عامًا"[٦٣].

ثانيًا: التعاون والترابط بين أفراد المُجتمع: إن تعاون المُجتمع يَخلُق حياة تسودها المودة والرحمة والعطف فالإمام عليه السلام، يقول" واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض"[٦٤].

فلا" تستقيم الحياة في أي مجتمع بالغا ما بلغ من التقدم أو التخلف إلا مع الترابط والتعاون على هدف واحد، ومصلحة مُشتركة بين جميع الأفراد والفئات بحيث يتكون صرح المُجتمع من تعاون الجميع، فكل فرد لبنة، وكل أسرة جدار، وكل فئة غرفة، وبدون هذا التعاون والتماسك تسود الفوضى ويتصدع البناء...، ولهذا التعاون صور ومظاهر، كالتعاون بين أهل الفلاحة والصناعة، وتعاون هاتين الفئتين مع التاجر والمُستهلك، ثم

الجميع مع الأطباء والمهندسين، والعلماء والمُعلمين، ثم مساهمة كافة المواطنين في تحمّل المسئوليات العامة كالخدمة العسكرية ودفع الضرائب، ونحو ذلك من الواجبات"[٦٥].

فكثير من هذه المواضع استوقفني وسألت نفسي أين أنا ونحن من القُرآن الكريم والقُرآن الناطق، وفي بعضها جعلني في حيرةٍ من أمري.

ثالثًا: قضاء حوائج الناس: من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان هو أن يتذكر هذه النعمة عليه مرارًا وتكرارًا، وإن لم يشكرها فهي معرضة للزوال قال في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[٦٦].

فقضاء حوائج الناس في بعض النصوص تُعد عبادة، ومن هنا نجد إن الإمام عليه السلام، يقول لجابر الأنصاري"يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء"[٦٧].

ثم"إن مسؤولية الانسان تقاس بطاقته ومقدرته، فمسئولية القادة غير مسؤولية الأتباع، وواجب الأغنياء غير واجب الفقراء، ووظيفة العلماء غير وظيفة الجهلاء، فعلى القادة أن يعملوا جاهدين على تحقيق ما يتطلبه المُستضعفون من حياة عادلة، وعيشة راضية، وعلى الأغنياء أن يبذلوا لخدمة الحياة وتقدمها، وعلى العلماء أن ينكروا المنكر من أولاء وأولئك،(فمن قام للّه فيها إلخ)، إذا عمل الراعي بالعدل والمساواة أحبته الرعية، وكانت أطوع له من بنانه، ودافعت عنه وعن سلطانه دفاعها عن نفسها ومصالحها، وبهذا يثبت حكمه ويستقر، وإلا ثارت عليه واقتلعته من الجذور حين تسنح الفرصة، وكذلك العالم يثق الناس به، ويقدسون مقامه إذا نفعهم بعلمه وإلا انصرفوا عنه، ونعتوه بكل قبيحط[٦٨].

وبعبارة أخرى فقوله ياجابر،(من كثرت نعم اللّه عليه)، بالمال والجاه والعلم والقوة وما أشبه (كثرت حوائج الناس إليه)؛ لأنّ الناس مُحتاجون إلى النعم المُجتمعة عنده(فمن قام، للّه، فيها)، أي في النعم(بما يجب فيها)، من اعطاء حقوق اللّه، وقضاء حوائج الناس(عرضها)، أي جعل نعمه في معرض البقاء(للدوام والبقاء) قال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٦٩]،"ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء"[٧٠]، قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٧١][٧٢].

المطلب الثاني: التقوى في مُواجهة الظلم الإجتماعي

إن السكوت على الظلم يناقض روح التقوى، ولذلك أكد الإمام علي عليه السلام، على ضرورة مُواجهة الفساد والإنحراف بشجاعة وعدل، والمُتقي هو من ينصر المظلوم، ويتصدى للجور، ويعيد التوازن للمُجتمع بقول الحق والعمل به، ويمكن بيان هذا المطلب على النحو الآتي:

أولًا: التقوى مواجهة الظالم: من المواد الذي أشار إليها الإمام عليه السلام، في مُواجهة الظالم ونصرة المظلوم نحو"وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم"(٧٣).

بعد أن قال الإمام عليه السلام، "إن إنكار المنكر حتم وواجب بخاصة إذا وجد المنكر المناصر والمُؤازر، بعد هذا أشار إلى الدليل القاطع على هذا الوجوب واللزوم، وهو ان اللّه سبحانه قد أخذ على العلماء عهدًا أن يكونوا للمظلوم عونًا، وعلى الظالم حربًا، ومعنى كظة الظالم تخمته وبشمه، وكنى بها الإمام عليه السلام، عن تماديه في العتو والطغيان، ومعنى سغب المظلوم جوعه وبؤسه، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:"والمرء وهو يداوي البطن من بشم يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا"(٧٤)(٧٥).

فيقول عليه السلام، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول في غير موطن: "لن تقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع"(٧٦)، وفي سنن ابن ماجة (رحمه الله)، عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:" أنّه لا قدّست أُمّة لا يأخذ الضعيف فيها حقّه غير مُتتعتع"(٧٧).

و"يظهر من الحديثين الشريفين أنّه لا يحقّ ولا يجوز للإنسان المُسلم ولا سيّما العالم أن يُقعد في بيته ولا يهتمّ ولا يبالي بما يشاهده من ظلم المُستكبرين الطغاة، بل يجب عليه حماية الضعفاء وإحقاق حقوقهم، ولا يخفى أنه لا يتيسّر ذلك غالبًا إلاّ بالتجمّع والتشكّل وتحصيل القوّة والقدرة بقدر الإمكان، ولا نعني بالحكومة إلاّ هذا، غاية الأمر أنّ لها مراتب، فأدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلّة الجهاد الدفاعي بأجمعها أيضًا من أقوى الأدلّة على لزوم تشكّل المُسلمين وتأسيس الدولة الحقّة، وليس المُراد بالتقيّة الواردة في أخبارنا ترك الدفاع والأمر بالمعروف، بل المُراد هو التحفّظ في حال العمل بالتكليف"(٧٨).

ثانيًا: التأكيد على أن لا سلطة لظالم على مظلوم: يُؤكد الإمام مرة أخرى"كونوا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا"(٧٩).

"فإن كلا من هذين فرض وحتم، فعون المظلوم معروف يجب الأمر والعمل به، والظلم منكر يجب تركه والنهي عنه، ومن أعان ظالمًا أو رضي بفعله فهو شريك له...، إن الظلم سيئة لا تقبل معه حسنة، وترك الظلم حسنة لا تضر معه سيئة بالنص الصريح عن النبي ﷺ، حيث قال:"من أصبح لا يهم بظلم أحد غفر اللّه ما اجترم"(٨٠)(٨١).

ثالثًا: من أخلاق المُتقين أنهم: إن من أخلاق المتقين إنهم"لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير"(٨٢).

"فانّ الانسان إذا علم بالثّواب الّذي أمامه، لا بد وان يستقل عمله ولا يرضى بقليله، (ولا يستكثرون الكثير)، إذ الثواب من الكثرة بحيث كل عمل كثير لا يفي به"(٨٣).

المطلب الثالث: التقوى ضمان لأمن المُجتمع واستقراره

الأمن لا يتحقق بالقوة وحدها، بل بتقوى تُؤسس لعلاقات متوازنة يسودها الإحترام والعدالة، وقد شدّد الإمام علي عليه السلام، على أن صلاح الجماعة يبدأ من صلاح القلوب، وأن التقوى هي حصن الأمان الذي يحفظ المُجتمعات من الإنهيار، ويمكن بيان هذا المطلب على النحو الآتي:

أولًا: التقوى حصن حصين في أمن المُجتمع وإستقراره: عندما نتحدث عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٨٤)، إي جعلت نفسك في حصَ بعيدًا عن هذه الشوائب، كما هو الحال مع التقوى فتجعل نفسك في حصن حصين مما تُركز على أمن المُجتمع وإستقراره، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام" اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا"(٨٥).

فالإمام عليه السلام، يُريد أن يُبين في المقطع الأوّل:" فلأنّ التقوى تحرز من اتّقى في الدّنيا من الرّذايل المنقصة والقبايح الموقعة له في الهلكات والمخازي، وفي الآخرة من النار وغضب الجبّار كالحصن الحصين الذي يحرز متحصّنه من المضارّ والمكاره"(٨٦).

وأما الثاني فلأنّ الفجور يوقع الفاجر في الدّنيا في المعاطب والمهالك ولا ينجيه في الآخرة من العذاب الأليم والسخط العظيم، فهو بمنزلة دار غير وثيق البنيان منهدم الحيطان

والجدران (لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه)، ومن تحصّن بدار كذلك ليكوننّ ذليلًا مهانًا لا محالة(٨٧).

وفي قوله عليه السلام، (ألا وبالتّقوى تقطع حمة الخطايا)، فالتشبيه" المضمر في النفس للخطايا بالعقارب أو بذوات السموم من الحيوان استعارة بالكناية وذكر الحمة تخييل والقطع ترشيح والمُراد أنّ بالتقوى يتدارك وينجبر سريان سمّ الخطايا والآثام في النفوس المُوجب لهلاكها...، كما يقطع سريان سموم العقارب والأفاعي في الأبدان بالباد زهر والترياق ويمنع من نفوذها في أعماق البدن بقطع العضو الملدوغ من موضع اللّدغ، وعلى رواية حمة بالتشديد فالمقصود أنّ بها تدفع شدّتها وترفع(٨٨).

"ولّما نبّه على كون التقوى حاسمة لمادّة الخطايا، وكان بذلك إصلاح القوّة العمليّة نبّه على ما به يحصل إصلاح القوّة النّظرية أعني اليقين فقال: (وباليقين تدرك الغاية القصوى)، وإدراكها به لأنّ الانسان إذا كملت قوّته النّظريّة باليقين وقوّته العمليّة بالتّقوى، بلغ الغاية القصوى من الكمال الإنساني البتّة"(٨٩).

ثمّ عاد عليه السلام، إلى تحذير العباد تأكيدا للمُراد فقال:"عباد اللّه اللّه اللّه"(٩٠)، أي راقبوه سبحانه واتّقوه تعالى"في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها إليكم"(٩١)، الظّاهر أنّ المراد بأعزّ الأنفس عليهم نفسهم، إذ كلّ أحد يحبّ نفسه بالذّات ولغيره بالعرض والتّبع، ولذلك قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾(٩٢)(٩٣).

ثالثًا: التقوى والعلم: إنْ من تمسك بالعلم هاجم الجهل وأصبح طريق التقوى مفتوح، قال عليه السلام، في وصف المُتقين"هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين"(٩٤).

أي" انّ العلم الواصل إلى حقيقة البصيرة والمعرفة هم عليهم، حتى صاروا علماء، و"هجم"، كناية عن تدفّق العلم نحوهم، كما يتدفق المهاجم (وباشروا روح اليقين)، بمعنى انّ روح اليقين الذي لا يزول ولا يحول، جاء إليهم حتى أنهم باشروها وزاملوها (واستلانوا ما استعوره المترفون)، فالمترف هو البطر بالنعمة، أي عدوا لينا سهلًا، ما عده المُترفون وعرا خشنا، وهو الزهد في الدنيا وإطاعة اللّه سبحانه"(٩٥).

الخاتمة والنتائج:

وفي هذا البحث لا يسعنا إلا أن نشكر الله تعالى على إتمام بحثنا هذا متوصلين إلى النتائج الآتية:

١. إنْ التقوى ليست مفهوماً أخلاقياً فقط، بل أصل في البنية السياسية والإجتماعية في نهج البلاغة.

٢. إنْ الإمام علي عليه السلام، عرّف الحكم الرشيد بالتقوى لا بالمصلحة أو العصبية.

٣. إنْ المسؤول المُتقي هو من يمارس الرقابة الذاتية لا الخارجية فقط.

٤. إنْ التقوى الاجتماعية تحقق التكافل ومواجهة التمييز والفساد.

٥. إنْ العدل السياسي والإجتماعي ينبثق من روح التقوى لا من قانون مُجرد.

٦. إنْ التقوى أداة لتأسيس الأمن المُجتمعي واستقراره.

٧. إنْ تعاليم نهج البلاغة تصلح أن تكون مرجعية أخلاقية وسياسية في بناء الدولة الإسلامية.

هوامش البحث

١) ويزعها أي يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح، نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٨٣.

٢) المصدر نفسه: ٣ / ٨٣، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ابن شعبة الحراني، ١٢٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٧ / ٣٠، مُستدرك الوسائل: ميرزا حُسين النوري الطبرسي، ١٣ / ١٦٠، بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٣٣ / ٦٠٠، مُستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ٧ / ٤٩٩، فقه العولمة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ١١٥، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المُنتظري، ٤ / ٣٠٧، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ٣ / ٣٨١.

٣) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٤٧.

٤) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٨٣.

٥) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٥ / ١٣٥ - ١٣٦.
٦) المصدر نفسه: ٣ / ٨٣، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ابن شعبة الحراني، ١٢٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٧ / ٣٠، مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ١٣ / ١٦٠، بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ٣٣ / ٦٠٠، مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ٧ / ٤٩٩، فقه العولمة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ١١٥، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، ٤ / ٣٠٧، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ٣ / ٣٨١.
٧) سورة مُحَمَّد: آية: ٧.
٨) سورة النحل: آية: ١٢٨.
٩) سورة الحج: آية: ٣٨.
١٠) سورة الحج: آية: ٤٠.
١١) سورة المائدة: آية: ٥٦.
١٢) التفسير الكاشف: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٧ / ٦٣.
١٣) سورة ابراهيم: آية: ٤٩.
١٤) التفسير الكاشف: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٧ / ٦٣.
١٥) سورة مُحَمَّد: آية: ٧.
١٦) التفسير الكاشف: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٧ / ٦٣ - ٦٤.
١٧) التفسير الكاشف: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٧ / ٦٣ - ٦٤، و ٥ / ٣٣١.
١٨) سورة يوسف: آية: ٥٣.
١٩) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٢٧.
٢٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٨٤.
٢١) سورة التوبة: آية: ١٢٨.
٢٢) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٥٠.
٢٣) لم أعثر على هذا الحديث والذي بعده بهذه الصيغة لربما أعاد الشيخ مُغنية صيغة التعبير، وعادة الشيخ ما ينقل في كتبه أحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، ويتصرف بها لسهولة مراجعة القارئ لها وفهماها وهي عادة العلماء والفقهاء إذا أرادوا نقل شيء بمفهومه المُجمل، أو لطول الحديث فإقتصر (رحمه الله)، على بعض عباراته، قد يتصور البعض إن هذا التصرف بالحديث يُغير من معناه، والجواب كلا لما بيناه.
٢٤) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٥٠.
٢٥) المصدر نفسه: ٤ / ٥٠.
٢٦) سورة الزمر: آية: ٥٢.
٢٧) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٥٠.

٢٨) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٥٠.
٢٩) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حَسن الجواهري، ٣ / ٣٤.
٣٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣٦٦.
٣١) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٣ / ٣٨٩، تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، ٥٩٠.
٣٢) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢٤٢.
٣٣) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٢ / ٤٩٠، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: السيد جعفر مرتضى العاملي، ٢٠ / ١٩.
٣٤) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣٤٣.
٣٥) سورة الغاشية: آية: ٢٥ – ٢٦.
٣٦) سورة الأنعام: آية: ١٨.
٣٧) سورة الأنعام: آية: ٦١.
٣٨) سورة الأنعام: آية: ٦٢.
٣٩) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، ١٤ / ٢٦٥.
٤٠) سورة الأنعام: آية: ١٠٧.
٤١) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٣ / ٣٠٤.
٤٢) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣٦٦.
٤٣) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٣ / ٣٨٩.
٤٤) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢٣٥.
٤٥) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٢ / ٤٦٣.
٤٦) سورة النحل: آية: ٩٠.
٤٧) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٤ / ٥١.
٤٨) المصدر نفسه: ٣ / ٩٢.
٤٩) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٧٣، مصر وأهل البيت عليهم السلام: الشيخ علي الكوراني العاملي، ١٨٩.
٥٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٩٢.
٥١) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٧٣.
٥٢) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٧٣.
٥٣) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٧.
٥٤) توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٢ / ٢٦٧.
٥٥) توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٢ / ٢٦٧.

٥٦) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٢٧.
٥٧) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٣ / ٤٥٣.
٥٨) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٨٤.
٥٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٧ / ٥.
٦٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٧٧.
٦١) الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢٠ / ٢٨٨.
٦٢) تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي، ١٠ / ٣٨٥.
٦٣) الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢٠ / ٢٨٩.
٦٤) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٩٠.
٦٥) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٦٤.
٦٦) سورة إبراهيم: آية: ٣٤.
٦٧) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٤ / ٨٨.
٦٨) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٤٣٤.
٦٩) سورة إبراهيم: آية: ٧.
٧٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٤ / ٨٨.
٧١) سورة إبراهيم: آية: ٧.
٧٢) توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٤ / ٤٤٢.
٧٣) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ١ / ٣٦.
٧٤) تذكرة الأعيان: الشيخ السبحاني، ٣٩٦.
٧٥) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ١ / ٩٨.
٧٦) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ١٠٢.
٧٧) سنن ابن ماجة: مُحَمَّد بن يزيد القزويني، ٢ / ٨١٠.
٧٨) نظام الحكم في الإسلام: الشيخ المُنتظري، ٨١.
٧٩) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٣ / ٧٦.
٨٠) الكافي: الشيخ الكليني، ٢ / ٣٣٢.
٨١) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية، ٤ / ٢٨.
٨٢) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ١٦٢.
٨٣) توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٣ / ٢٣٧.
٨٤) سورة العنكبوت: آية: ٤٥.
٨٥) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٥١.

٨٦) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٥١.
٨٧) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٥١ - ٥٢.
٨٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، ٩ / ٣٢٠.
٨٩) المصدر نفسه: ٩ / ٣٢٠.
٩٠) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٥١ - ٥٢.
٩١) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٢ / ٥١ - ٥٢.
٩٢) سورة البقرة: آية: ٢٤.
٩٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، ٩ / ٣٢٠، توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٢ / ٤١٢، تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، ٨٥٣.
٩٤) نهج البلاغة: خطب الإمام أمير المُؤمنين عليه السلام، ٤ / ٣٧.
٩٥) توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي، ٤ / ٣٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القُرآن الكريم

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،(ب - ط وت).
٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: العلامة مُحَمَّد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)، تح: السيد إبراهيم الميانجي، مُحَمَّد الباقر البهبودي، نشر: مُوسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣. بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حَسن الجواهري، نشر: دار الذخائر، بيروت - لبنان - ط١.
٤. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: أبو محمد الحَسن بن علي بن الحُسين بن شعبة الحراني(ق٤)، تح: علي أكبر الغفاري، نشر: مُؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المُدرسين، قم، ايران، ط٢ - ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش.
٥. تذكرة الأعيان: الشيخ جعفر السبحاني، نشر: مُؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١ - ١٤١٩هـ.
٦. تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، نشر: مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، ط٢ - ١٤٠٨هـ.
٧. التفسير الكاشف: الشيخ مُحَمَّد جواد مُغنية(ت١٤٠٠هـ)، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣ - ١٩٨١م.
٨. تفسير مجمع البيان: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، تح: لجنة من العلماء والمُحققين والأخصائيين، نشر: مُوسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩. توضيح نهج البلاغة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي(ت١٤٢٢هـ)، نشر: دار تراث الشيعة، طهران، ايران،(ب - ط وت).

١٠. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ حُسين علي المُنتظري، نشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط١ - ١٤٠٨هـ.
١١. سنن ابن ماجة: أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني ابن ماجة(ت٢٧٥هـ)، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(ب - ط).
١٢. شرح نهج البلاغة: عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد المدائني(٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
١٣. الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: السيد جعفر مُرتضى العاملي، نشر: ولاء المُنتظر(عج)، ط١ - ١٤٣٠هـ - ١٣٨٨هـ.
١٤. ط٥ - ١٣٦٣ش.
١٥. فقه العولمة: السيد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي(ت١٤٢٢هـ)، نشر: مُؤسسة المُجتبى للتحقيق والنشر، ط١ - ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.
١٦. في ظلال نهج البلاغة: الشيخ مُحَمَّد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ)، نشر: انتشارات كلمة الحق، ط١ - ١٤٢٧هـ.
١٧. الكافي: أبي جعفر مُحَمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي(ت٣٢٩هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران،
١٨. مُستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠ه)، تح: مُوسسة أل البيت عليهم السلام ، لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢ - ١٤٠٨ه - ١٩٨٧م.
١٩. مُستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ)، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسي، قم، ايران،(ب - ط)، ١٤١٨ه.
٢٠. مصر وأهل البيت عليهم السلام : الشيخ علي الكوراني العاملي، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي(ت١٣٢٤هـ)، تح: سيد إبراهيم الميانجي، نشر: بنياد فرهنگ امام المهدي(عج)، ط٤.
٢٢. نظام الحكم في الإسلام: الشيخ حُسين علي المُنتظري، نشر: لجنة الأبحاث الإسلامية في مكتب سماحته، ط١ - ١٣٨٠ش
٢٣. نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، نشر: دار الزهراء، بيروت، لبنان، ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٤. نهج البلاغة: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،(ت٤٠ هـ)، تح: الشيخ مُحَمَّد عبده، نشر: دار الذخائر، قم، ايران، ط١ - ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش.